العرب
الإثنين 2019/12/23
السنة 42 العدد 11567

حياة متطورة تكدرها الجريمة والمخدرات

«كود 8» فيلم عن مجتمع مستقبلي لم يتخلّص من انحرافات الماضي

مدن المستقبل الذكية هي التي تنتظرها البشرية، مدن افتراضية خيالية تجعل حياة البشر أكثر يسرا. ذلك مدخل تبسيطي يحاول فيلم "كود 8" الولوج إليه ليقدّم لنا صورة حياة مدنية أكثر رفاهية وسعة للبشر.

شرطة من الروبوتات لا تعرف إلا القتل

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

لعل الخيال العلمي يمضي بعيدا في رسم المدن الفاضلة والمدن الافتراضية وكيف تجري تفاصيل الحياة اليومية فيها. وفي كل الأحوال بدا أن تجارب سينما الخيال العلمي وهي تقدّم صورة تلك المدن الرقمية الذكية قد ركزت في ما ركزت عليه على عنصرين أساسيين؛ وهما حياة المجتمعات وحياة الأفراد اليومية وشكل السلطات التي ستؤول إليها تلك المجتمعات.

ولن يخرج فيلم "كود 8" للمخرج جيف تشان عن هذا الإطار، لكنه وفي الوقت نفسه يتوسّع فيه، حيث تتكرّر معاناة البشر في تلك المدن المتطوّرة، فما زال الفقر يتهدّدهم والبحث عن العمل همّهم الدائم. أما على الجهة الأخرى، فالاستغلال يلاحق البشر فيما تزداد السلطات الحاكمة شراسة.

هنا سوف تتطوّر السيطرة على البشر إلى مستوى يقترب من الخيال، الحوامات ذات المراوح الأربع ترصد كاميراتها وجوه الناس وتستطيع فتح ملفات التعريف بهم حيث تحمل كل حوامة شرطة روبوتيين شديدي الشراسة وسريعين في القتل.

يبرز هنا كونور (الممثل روبي أميل) الذي يعيش مع والدته وهو يسعى لعلاجها من مرض السرطان الآخذ بالانتشار في جسدها، وحيث يجري إذلالها من قبل مديرها في العمل، وكونور هو الذي من خلاله سنكتشف طبيعة ذلك المجتمع الغامض، لنجده غارقا في الجريمة والانحرافات بشكل لم يختلف كثيرا عن الماضي.

في بحثه المستمر عن عمل يجد كونور نفسه في وسط عصابة لتهريب المخدرات والسرقة، ونكتشف أيضا أن ذلك المكان يجتمع فيه الكثير من الخارقين، ومنهم كونور نفسه الذي بإمكانه إيذاء خصومه بالصعق الكهربائي.

سوف يحتاج كونور وسط أولئك الخارقين إلى من يمتلك طاقة لشفاء أمه من السرطان، وبذلك يعثر على نيا (الممثلة كايل كين) التي بإمكانها شفاء المرضى، وبذلك تساعد كونور في التخفيف من عذابات والدته.

في المقابل سوف يدخل كونور وسط عصابات محترفة في القتل والسرقة والتهريب، حيث تقوم بجمع ضحاياها، وفي مقابل المال يجري سحب النخاع الشوكي من الضحايا ليتم بواسطته إنتاج نوع من المخدرات شديد التأثير.

سوف يتحوّل الفيلم في بنائه الدرامي وبالتدريج إلى نمط الحركة والعنف والملاحقات البوليسية والجريمة، وكما هي الحال في العديد من الأفلام المشابهة سنعود مجددا إلى مستوى من الانقسام بين العصابات وملاحقة بعضها بعضا، ثم استيعاب كونور طرفا في تلك اللعبة.

لا شك أن المعالجة السينمائية بدت أكثر واقعية، حيث ظهرت التطورات في المدينة المستقبلية بشكل طبيعي ومتدرج إلى درجة التفاعل مع المكان في شكله الواقعي ليزيح الكثير من المهام الروتينية الثقيلة.

ولنتحوّل في وسط كل هذا إلى ذلك العامل النفسي المؤثر الذي تم الزجّ به في الأحداث من خلال الصراع النفسي لكونور، وهو يتجرّع كؤوس القهر والذل خلال محاولته توفير المال لمساعدة أمه وتغطية نفقات علاجها، إذ يجد نفسه في دوامة مؤذية لا تكاد تنتهي.

الدوامة التي يغوص فيها كونور تكشف عن هشاشة ذلك المجتمع الافتراضي الذي يعيش فيه، وأن محاولة تجميله تبدو غير مجدية، إذ تخوض عصابات المخدرات صراعاتها حتى النهاية ومن دون أن تلتفت إلى ما حولها، لأنها صاحبة القرار. فهناك في الغالب مواجهات شرسة لن تنتهي في هذا الفيلم، فضلا عن التفنّن في ملاحقة العصابات لبعضها البعض.

وما بين البعد الإنساني العميق في محاولة كونور إنقاذ والدته والأموال الطائلة التي تطلبها إدارة المستشفى لعلاجها وبين اضطراره للانضمام إلى العصابات التي تنتشر في كل مكان تقريبا، سوف نلحظ تشابكا في خطوط السرد وفي أداء الشخصيات وكأننا وسط دوامة لا تنتهي.

أما على صعيد البناء المكاني فقد وظف الفيلم تنوعا مكانيا ملفتا للنظر، سهل الانتقالات المتكرّرة التي تطلبها الإيقاع السريع في بعض المشاهد، مع أن تلك السرعة في الأحداث لم تكن تتناسب في بعض الأحيان مع الطبيعة الواقعية التي كرسها هذا الفيلم سواء من ناحية الشخصيات أو الأماكن.

وعلى الصعيد البصري أيضا يلاحظ عدم الإسراف في تقديم صورة الواقع الجديد الغارق في التكنولوجيا، ولم يكن هناك ما يستدعي الإمعان في اغتراب الشخصية وهي تعيش استلابا سببه السلطات المستبدة التي لا ترحم من جهة والبحث عن فرصة للعيش داخل الأسرة الواحدة.

وفي المحصلة، لم يبدُ مجتمع المدينة المتطورة في "كود 8" مجتمع مدينة فاضلة على الإطلاق، فهو مكان تلاحقه طائرات درونز القتالية المدجّجة بالشرطة الروبوتيين، الذين بإمكانهم أن يجهزوا على أي شخص يُشتبه فيه ويردونه قتيلا كما حصل في العديد من الحالات.

ومن هناك نجح المخرج وكاتب السيناريو في تقديم أحداث متسلسلة في واقع غرائبي مستقبلي، لكنه لم يتخلص من رواسب وآثام وانحرافات الماضي.

الدوامة التي يغوص فيها كونور تكشف عن هشاشة المجتمع الافتراضي الذي يعيش فيه

«عصيان» عندما يتحوّل المسرح إلى فن سياسي

"عصيان" مسرحية عن فتيات الهجرة، تتقمّص فيها أربع نسوة أدوارهنّ في الحياة، فمادتها مستوحاة من معيشهنّ، والخطاب المنطوق على خشبة "مسرح لافيلات" بباريس خطابهنّ، بعد أن أعاد صياغته المؤلف الدرامي كيفين كيس، والروائية أليس زنيتر.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

تنتمي مسرحية "عصيان" إلى ما سمي بـ"مسرح مجريات الأحداث الحالية"، وقد ابتكرته الفرنسية ماري جوزي ماليس مديرة المركز الدرامي الوطني بضاحية أوبرفيليي منذ أربع سنوات كطريقة مغايرة لممارسة الفعل المسرحي.

والتمست حينئذ مساهمة عدة أسماء بارزة في الساحة الثقافية لتعرف كيف يستلهمون أعمالهم من حياة الناس الذين يعيشون بينهم. واختارت أن تعطي الكلمة لأهالي المنطقة، لكي تكون المادة الأولى لنص عمل مسرحي أطلقت عليه مصطلحه آنف الذكر، وتفتح لهم منافذ إلى الحياة المسرحية، وتخص منهم فئة معينة هي بنات المهاجرين وحفيداتهم اللّاتي ينتمين إلى الطبقات الفقيرة، أولئك اللّاتي أوهمهن خطاب الآباء والساسة والإعلاميين بأن مكانهنّ ليس هنا، وأن مصيرهنّ العودة بطريقة أو بأخرى إلى أرض الآباء والأجداد.

ولما كانت هذه الأعمال تتحدّث عن الراهن والواقع المحيط، فقد غدت أشبه بمنتدى تُناقش فيه بعض الأمراض التي تنخر المجتمع الفرنسي، وما يعانيه أبناء المهاجرين وبناتهم من وصم وعنصرية وتهميش من قبل أبناء البلد الأصليين، ومن تحجّر وانغلاق وتمسّك بتقاليد بالية من قبل بني جلدتهم، وخاصة في ما يتعلق بعلاقتهم بالبنات.

في هذا العمل الذي يحمل رقم تسعة والذي عنوانه "عصيان"، أعطيت الكلمة لنساء محافظة "سين سان دوني" الشهيرة بـ"تسعة ثلاثة"، ممن ينتمين إلى الجيل الثاني والثالث للهجرة، لتسائل أحلامهنّ وتمردهنّ، وعلاقة كل واحدة منهنّ بالعائلة والتقاليد والدين والمستقبل.

واختارت المخرجة جولي بيريس من جملة من قابلت أربع فتيات هنّ: لو أدريانا بوزيان، وشرمين فاريبورزي، وهاتيس أوزر وسيفورا بوندي، وتعاملت معهنّ لإنجاز مشروع يتناول حكاياتهنّ وحكايات أهاليهم، ثم عهدت بالمادة المتوفرة إلى المؤلف الدرامي كيفن كيس والروائية من أصل جزائري أليس زنيتر لصياغة عمل مسرحي ودراماتورجيا تستوحي مادته من سرديات أولئك الفتيات، وسرديات فتيات أخريات أثيرت أثناء اللقاءات المتكرّرة.

انطلاقا من تلك الاعترافات الحميمة أحيانا، استخلص كيس وزنيتر فصولا من حنينهنّ وذكرياتهنّ، وأفراحهنّ وأتراحهنّ، وخضوعهنّ وتمردهنّ، وفتحا لهنّ المجال كي يسردن، كل واحدة على طريقتها، كيف قاومن عنف هذا العالم، وكيف ناضلن بلا انقطاع لفرض وجودهنّ في مجتمع يحبسهنّ في طريق مسدود. وبذلك تحوّلت تلك الحكايات الفردية إلى نوع من الحكايات السياسية، وقدّمت صورة مخالفة عمّا يروّجه الإعلام، وواقعا متعدد الأوجه عن نساء الضواحي. ذلك أن تلك السرديات النسائية هي سرديات يكون فيها العصيان طريقا إلى النصر.

وتبدأ المسرحية بظهور الفتيات الأربع وهنّ يعبرن الخشبة زوجا زوجا بخطى موقعة كأنها "مارش" عسكري، حتى يتوارين عن الأنظار، ثم يظهرن من جديد ليشرعن في سرد حكاياتهنّ في جو تائتلف فيه لحظات من البهجة والرقص والغناء، وأخرى تنضح بالألم والمعاناة والرغبة في كسر القيود، أيا ما يكن مأتاها.

تطالعنا حكاية سيفورا بوندي، الفتاة السوداء التي عشقت المسرح منذ سن المراهقة، تروي كيف اختارها أحد المخرجين لتؤدي دور أنياس في مسرحية موليير "مدرسة النساء"، ولكن لم يمض أسبوع حتى تمّ إعلامها بغير تحفظ أن أنياس، وجه بارز في مسرحية موليير، ولا يمكن أن يسند إلى امرأة سوداء.

وحكاية لو أدريانا بوزيان وكيف أن الأحلام تؤدي أحيانا إلى إجلال رومانسي للجماعات الإرهابية. فقد تعرّفت في مراهقتها على رجل في أحد المواقع الاجتماعية، وكانت ثائرة على كل ما يحيط بها، فتأثرت بخطابه الديني وبدأت تلبس الحجاب، ثم طرأ عليها تحوّل راديكالي حتى صار مقربوها ينكرونها، ولم يمض وقت طويل حتى هربت من بيت أهلها والتحقت بهذا الرجل الذي وقعت في هواه، فاكتشفت أنه متزوج، وينتمي إلى الجماعات المتطرفة، مثلما اكتشف هو أنها لم تكن نقية بالشكل الذي يريد، لأنها لم تنسق وراء مخططاته، فهجرته وظلت على دينها الذي تعرفه، والذي يحقق لها سلاما وراحة نفسية.

«عصيان» هي سرديات أربع فتيات يقدّمن وجها منتصرا لصراعهنّ ضد العنصرية والبطريركية والتهميش

كذلك حكاية شرمين فاريبورزي، وهي فتاة من أصل إيراني تهوى الرقص، وكيف اضطرت إلى مواجهة رفض أبيها باسم الدين والتقاليد، وكيف تمرّدت عليه لتمارس ما تعتبره فنّها المفضل وتفرض وجودها كراقصة هيب هوب. إلى جانب هاتيس أوزر، وهي من أصل تركي، وتروي كيف تمرّدت هي أيضا على عائلتها ومحيطها كي تحيا حياتها بحرية، وتختار طريقا ترسمه بنفسها بعيدا عن التسلّط والزجر.

تلك السرديات هي شهادة حية عن الطريقة التي توسّلت بها تلك الفتيات لإعلان العصيان كسبيل لتحقيق الذات، دون الوقوع في النمطية، وفضلها أنها تلغي شبكات القراءة التي ترسّبت في بال المتفرجين، من أهل البلاد الأصليين بخاصة. فأولئك الفتيات ينهلن من تراثهنّ الثقافي، ولكنهنّ يخترن منه ما يشأن لكي يرسمن طريقهنّ بأنفسهنّ.

والخلاصة أن "عصيان" هي سرديات أربع فتيات يقدّمن وجها منتصرا لصراعهنّ ضد العنصرية والبطريركية والتهميش، ووجها فنيا يؤكد جدارتهنّ بالحصول على أدوارهنّ على الخشبة.

العصيان طريق إلى النصر

المزحة الجادة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

انتشرت مؤخرا في وسائط الاتصال الاجتماعي صورة الموزة الملصوقة على الجدار بشريط لاصق والتي بيعت بمبلغ 120 ألف دولار باعتبارها عملا فنيا. كان اسم العمل "كوميدي" وقام فنان كوميدي بالتهام الموزة في نهاية العرض.

صدّق الكثيرون أن ما رأوه كان عملا فنيا بحيث أن البعض سارع إلى السخرية منه من خلال لصق أشياء مختلفة على الحائط بالطريقة نفسها كما لو أنهم يعرضونها للبيع.

كان ماريزيو كتيلان وهو صانع الكذبة أول المندهشين بسبب ما أحدثته كذبته من إثارة، بحيث اصطف الكثيرون من أجل التقاط صور لأنفسهم مع عمله الفني غير المألوف.

طبعا شعر الكثيرون بالأسف لما وصل إليه الفن من إسفاف وسخف وانحطاط. غير أن المبلغ الكبير الذي دفع من أجل شرائه كان صادما.

لم يفكر أحد في السخرية المضادة التي ينطوي عليها عرض تلك التفاهة. كان ذلك العرض بمثابة سخرية من الواقع الذي انتهت إليه الفنون المعاصرة. سخرية من المؤسّسات الفنية والصالات والمتاحف والمصارف والنقاد والصحافيين ورعاة الفن.

كان ذلك العمل المجاني الذي صدم الكثيرين من غير أن يجرؤوا على التعبير عن رفضهم فضيحة مقصودة، كشفت السوق من خلالها عن جهلها وضعف معرفتها بالفن الحقيقي. لقد ذهبت الأنظار إلى مبلغ الـ"120" ألف دولار من غير أن ترى البضاعة. كانت الفضيحة هي المقصودة.

لقد اشترى أحدهم موزة بـ"120 ألف دولار" التهمها أحدهم من غير أن يدري. ضاعت الأموال بعد أن ضاع العمل الفني. لم يعد العمل الفني قائما. تلك هي حقيقة الأعمال الفنية المعاصرة منذ أن اخترعها مارسيل دوشان.

أخيرا انتصرت كذبة صغيرة على الكذبة الكبرى. ضحك كتيلان من الجميع؛ من الفنون المعاصرة، من مفكّريها والمروّجين لها والقائمين عليها.

لم يكن ما قدّمه عملا فنيا. كان الرجل يسعى إلى أن يضعنا في قلب الفضيحة. ثم من قال إن مبلغ "120" كان حقيقيا؟ كان الخبر هو الكذبة التي تقول الحقيقة.

الكذبة التي تقول الحقيقة